Walter Zander, Israel and the Holy Places of Christendom. (Weidenfeld and Nicholson, London, 1972).

الدعاية والاعلام والابحاث العلمية كلمات ثلاث لبضاعة واحدة تباع لزبائن مختلفين . ومن يريد الحصول على فكرة عن هذا التطابق يستطيع ان يجد بغيته في الكتاب الذي نحن بصدده ، بل واكثر من ذلك . من يريد من الاعلاميين العرب تلقي بضعة دروس في اسرار مهنته يستطيع هو ايضا ان يجد دروسه في هذا الكتاب . ولو قدر لي ان اترجمه فلن اتردد في اضافة عنوان فرعي له « كيف تصبح رجل اعلام في سبعة ايام » .

مؤلف هذا الكتاب المفيد ولتر زاندر ، يهودي هرب الى انكلترا من الاضطهاد النازي وكرس حياته للكتابة هنا . وتناولت كتاباته احوال اليهود في الاتحاد السوفيتي والنزاع العربي الاسرائيلي . وبعد ان وقعت الاماكن المقدسة تحت الحكم الاسرائيلي ، وجه انظاره اليها . وكتابه هذا « اسرائيل والاماكن المقدسة المسيحية » هو حصيلة ذلك البحث .

السر في اعتباري هذا الكتاب درة من درر الاعلام هو الطريقة التي استدرجني فيها المؤلف بحيث لم افق الى حقيقة النقد الذي دفعه لي حتى النصف الثاني من الكتاب . وفيه يستعرض زاندر قصة المسيحية وكنائسها في الديار المقدسة منذ اول نشأتها ويعرج الى دخولها تحت حكم العرب ويثبت في متون الكتاب عهد عمر بن الخطاب الى المسيحيين مع بعض الحذوفات منه ، ومن ذلك تعهد المسلمين للمسيحيين بعدم السماح لليهود بدخول القدس . ويثني زاندر على رعاية المسلمين، العرب والاتراك، للاماكن المسيحية ويشير في الاخير الى وقوعها تحت الحكم الاردني الهاشمي وكيف دحضت الحكومة الاردنية مخاوف العالم ازاء مصير الكنائس فاثبتت هي الاخرى قابليتها على رعايتها وحرصها على ازدهارها . كلام معقول يزيد من عدالته استشهاد المؤلف بشتى الوثائق والحجج في تأييده . ثم يخلص الى النتيجة التالية : ان كل حكومة حكمت فلسطين وجدت من صالحها وواجبها رعاية الكنائس المسيحية . واذا كان المسلمون قد اضطلعوا بالمهمة ، فلم لا يستطيع اليهود الاسرائيليون القيام بنفس الشيء ؟ ويعود زاندر الى انصافه فيعترف بأن أمام اسرائيل عقبات جسيمة في ادارتها لكنائس فلسطين ، من ذلك انه لم يسبق لليهود قط ان تولوا مسؤولية كنيسة مسيحية ليتمتعوا بخبرة وتقاليد كافية . ومن ذلك ايضا ان اليهود لا يؤمنون بقدسية المسيح والسيدة العذراء كما يفعل المسلمون لينظروا الى الموضوع بشيء من الورع الروحي . واخيرا لا يوجد بين اليهود مسيحيون كما يوجد بين العرب ليتولوا المسؤولية وينيروا الطريق للحكومة . ومع ذلك ، يقول المؤلف ، ان البداية التي بدأت بها اسرائيل هي بداية موفقة تبشر بالخير بالنسبة لهذه الكنائس .

ويتناول زاندر الشهور الاولى من الادارة الاسرائيلية فيورد لنا نص التعليمات التي اصدرتها الشرطة الاسرائيلية الى المواطنين في ضرورةاحترام قدسية هذه الاماكن ... الخ . وهذه من الهفوات الاعلامية القليلة في الكتاب . فحيثما احتاج شعب الى اوامر من الشرطة بالاحترام ، اقرأ على الشعب والاحترام السلام . والحقيقة ان حوادث الاعتداء على حرمة الكنائس لم تعد خافية على احد واضطر زاندر الى الاشارة الى بعض منها فذكر احتجاج السلطة الكنسية السوفيتية على الاعتداءات المختلفة التي تعرضت لها كنائسها في فلسطين المحتلة . وعلق الكاتب على المذكرة الشديدة بقوله ان الحوادث كانت طفيفة ومن عمل الغوغاء والاولاد . واشار ايضا الى سرقة التاج الذهبي من رأس السيدة العذراء فأعرب عن اعجابه بالشرطة الاسرائيلية التي استطاعت ان تلقي القبض على السارق الاسرائيلي الذي لم يستطع مقاومة الذهب حتى عندما يكون على رأس مريم العذراء . وعلى كل ، يقول المؤلف ، ما اكثر ما حدث مثل هذه الحوادث في التاريخ . لم نلوم الحكم الاسرائيلي على حرق المسجد الاقصى ؟ ألم تشب النار في كنيسة القيامة عام ١٨٠٨ ؟ ولم نلوم شابا اسرائيليا على سرقة تاج السيدة العذراء ، ألم ينهب راهب مسيحي النجمة الفضية من كنيسة بيت لحم اثناء معركة بين الارثوذكس واللاتين ؟ ونحن هنا طبعا امام ركن من الاعلام الصهيوني يقوم على تجسيم عيوب الآخرين وتسويد وجه البشرية الى الحد الذي تصبح فيه الشمطاء الاسرائيلية بدر الدجى .